

اتفاقيات-عدم-الاعتداء-دهاء-ايراني-أم-سناجة 9



في أخبار مغرقة في التفاؤل، نقلت الصحافة الإيرانية مؤخرًا عن مسؤولين في الحكومة قولهم إن المحادثات مع أوروبا «تسير بإيجابية» نحو وإنهم ما زالوا ينتظرون رداً إيجابياً من «الْحَفَظَاتِ عَلَى الْإِتِّفَاقِ النَّوَوِيِّ، وَالْإِتِّفَاقِ عَلَى الْعُقُوبَاتِ الْأَمِيرِكِيَّةِ عَنْ طَرِيقِ آليَّةِ «إِنْسْتِكْسِ» دَوْلِ الْخَلِيجِ حَوْلِ اقْتِرَاحِهِمْ بِإِبْرَامِ «اتِّفَاقِيَّاتِ عَدَمِ اعْتِدَاءٍ» مَعَ بَعْضِ دَوْلِ الْجَوَارِ. وَالْوَاقِعُ أَنَّ اقْتِرَاحَ إِبْرَامِ اتِّفَاقِيَّاتِ عَدَمِ اعْتِدَاءٍ مِنْ أَعْرَبِ مَا تَفَتَّقَتْ عَنْهُ الْقَرِيحَةُ الْإِيرَانِيَّةُ مُؤَخَّرًا، فَهُوَ أَسْلُوبٌ قَدِيمٌ مَرْفُوضٌ كَانَ يَسْتُخْدَمُ لِتَفْرِيقِ الْخُصُومِ، بِرَعْتِ أَلْمَانِيَا النَّازِيَّةِ فِي اسْتِخْدَامِهِ، لِتَحْيِيدِ بَعْضِ الدُّوَلِ مَوْقِفَاتِهَا وَالتَّفَرُّغِ لِمُوَاجَهَةِ الْخُصْمِ الْأَكْبَرِ. فَمَا زَالَتْ إِيرَانُ تَأْمَلُ فِي خَلْقِ خِلَافٍ بَيْنَ الدُّوَلِيَّاتِ الْمُتَّحِدَةِ وَحَلْفَائِهَا، بِهَدَفِ إِشْغَالِ خُطَطِ وَاشْنَطِنِ الرَّامِيَّةِ إِلَى بِنَاءِ تَحَالْفٍ دَوْلِيِّ لِحِمَايَةِ الْمَلَاخَةِ فِي الْخَلِيجِ وَمُضِيقِ هَرْمِزٍ مِنْ هِجْمَاتِ إِيرَانِ الْمُتَّكِرَّةِ. فَنَرَى جَوَادَ ظَرِيفٍ يَحَاوِلُ فِي رِحَالَتِهِ الْمَكُوكِيَّةِ فِي الْمُنطَقَةِ فِي أَوْرُوبَا أَنْ يَصْرِفَ النَّظَرَ عَنِ الْمَوَاضِيْعِ الرَّئِيسِيَّةِ الَّتِي تَشْغَلُ الْعَالَمَ حَوْلَ تَصَرُّفَاتِ إِيرَانِ، حَاصِرًا الْمَوْضُوعَ فِي مَحَاوِلَةِ إِنْقَادِ الْإِتِّفَاقِ النَّوَوِيِّ الَّتِي انْسَحَبَتْ مِنْهُ الدُّوَلِيَّاتُ الْمُتَّحِدَةُ، وَالشُّكُوكُ مِنَ الْعُقُوبَاتِ الْأَمِيرِكِيَّةِ. فَقَدْ رَفُضَتْ إِيرَانُ، بِمَبَاشَرَةٍ وَضَمْنِيَا، دَعْوَاتِ الدُّوَلِيَّاتِ الْمُتَّحِدَةِ وَمَجْلِسِ التَّعَاوُنِ لِلتَّفَاوُضِ، أَوْ مَنَاقِشَةِ بَرْنَامِجِ الصُّوَارِيخِ الْبَالِيسْتِيَّةِ، أَوْ دَعْمِهَا لِلإِرْهَابِ وَالطَّائِفِيَّةِ، أَوْ تَدْخُلِهَا فِي الشُّؤُونِ الْدَاخِلِيَّةِ لِجِيرَانِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَقْلِقُ الْمَجْتَمَعَ الدَّوَلِيَّ. وَبَدَلًا مِنْ ذَلِكَ، تَرْغِبُ إِيرَانُ فِي الْحَدِيثِ فَقَطْ عَنِ تَنْفِيذِ الْبَرْنَامِجِ النَّوَوِيِّ (لَا تَعْدِيلِهِ) وَالْعُقُوبَاتِ. أَمَا مَعَ الْجِيرَانِ، فإِيرَانُ تَسْتَخْفُ بِهَمْ بِطَرَحِ أَفْكَارٍ غَيْرِ عَمَلِيَّةٍ وَتَعُودُ لِحَقْبِ بَانْدَةَ، أَوْ صَمَمَتْ عَمْدًا لِكِي تَرْفُضَ. وَمِنْ تِلْكَ الْأَفْكَارِ مَقْتَرَحُ ظَرِيفِ الَّذِي طَرَحَهُ فِي مَآيُو (أَيَّارِ) الْمَاضِي، ثُمَّ فِي شَهْرِ أَوْغُسْطُسِ (أَب)، بِإِبْرَامِ «اتِّفَاقِيَّاتِ عَدَمِ اعْتِدَاءٍ» مَعَ بَعْضِ دَوْلِ الْجَوَارِ. وَبِئْسَ وَاضِحًا تَمَامًا هَلْ هُوَ مَقْتَرَحُ جَادٍ أَمْ يَقْصِدُ بِهِ السُّخْرِيَّةَ وَشَرَاءَ الْوَقْتِ؟ هَلْ ظَرِيفٌ يَتَذَاكِي أَمْ أَنَّ ذَلِكَ مَنْتَهَى مَعْرِفَتَهُ الدِّبْلُومَاسِيَّةِ وَالْقَانُونِيَّةِ؟ فَهَذِهِ الْإِتِّفَاقِيَّاتُ لَمْ تَعُدْ مَقْبُولَةً، تَعُودُ لِفَتْرَةٍ مَا قَبْلَ قِيَامِ الْأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ الَّتِي يَمْنَعُ مِيثَاقُهَا الْعَدَاءَ عَلَى الْجِيرَانِ، دُونَ الْحَاجَةِ إِلَى إِبْرَامِ اتِّفَاقِيَّاتٍ بِذَلِكَ. أَصْبَحَتْ اتِّفَاقِيَّاتِ عَدَمِ الْعَدَاءِ مَشْبُوهَةً، خُصُوصًا بَعْدَ أَنْ اسْتُخْدِمَتْهَا أَلْمَانِيَا النَّازِيَّةُ وَسَيْلَةً لِتَفْرِيقِ الدُّوَلِ الْأَوْروْبِيَّةِ ثُمَّ ابْتِلَاعِهَا وَاحِدَةً بَعْدَ الْآخَرَى. فَقَدْ صَادَفَ الشَّهْرَ الْمَاضِي ذِكْرَى مَرُورِ 80 عَامًا عَلَى أَكْثَرِ تِلْكَ الْإِتِّفَاقِيَّاتِ شَهْرَةً وَرَبْمَا أَسْوئَهَا، تِلْكَ الَّتِي أَمْرَمَتْهَا أَلْمَانِيَا مَعَ الْإِتِّحَادِ السُّوْفِيَّاتِي، فِي 23 أَوْغُسْطُسِ (أَب) 1939، أَيَّ قَبْلَ ثَمَانِيَّةِ أَيَّامٍ مِنْ غَزْوِ بُولْنَدَا وَبِدَايَةِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَّةِ فِي الْأَوَّلِ مِنْ سِبْتَمْبَرِ (أَيْلُولِ). وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ مَقْتَرَحَ إِيرَانِ بِتَوْقِيعِ «اتِّفَاقِيَّاتِ عَدَمِ الْعَدَاءِ» جِزءًا مِنْ رَدِّ إِيرَانِ عَلَى الْجُهُودِ الْأَمِيرِكِيَّةِ الرَّامِيَّةِ إِلَى تَشْكِيلِ تَحَالْفٍ دَوْلِيِّ لِحِمَايَةِ أَمْنِ الْمَمَرَاتِ الْمَائِيَّةِ رَدًا عَلَى هِجْمَاتِ إِيرَانِ الْمُتَّكِرَّةِ عَلَى نَاقِلَاتِ النَّفْطِ. فإِيرَانُ تَرْفُضُ هَذَا التَّحَالْفَ. وَلَكِنْ مِنَ الْمَضْحَكِ أَنْ يَقُولَ الرَّئِيسُ رُوحَانِي إِنَّ دَوْلَ الْمُنطَقَةِ هِيَ الْمَعْنِيَّةُ بِتَوْفِيرِ تِلْكَ الْحِمَايَةِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الْهِجْمَاتِ السَّابِقَةَ عَلَى نَاقِلَاتِ النَّفْطِ وَالتَّهْدِيدَاتِ الْمَسْتَقْبَلِيَّةِ تَأْتِي مِنْ دَوْلَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ هِيَ إِيرَانُ، وَأَنَّ التَّحَالْفَ الدَّوَلِيَّ يَهْدَفُ إِلَى رَدِّ إِيرَانِ، لَا أَيَّ دَوْلَةٍ أُخْرَى. وَتَرْمِي مَقْتَرِحَاتِ إِيرَانِ هَذِهِ إِلَى زَرْعِ الْخِلَافَاتِ بَيْنَ وَاشْنَطِنِ وَحَلْفَائِهَا، وَإِضْعَافِ فُرْصِ نَجَاحِ التَّحَالْفِ الَّذِي تَقُومُ الدُّوَلِيَّاتُ الْمُتَّحِدَةُ بِتَأْسِيسِهِ لِتَأْمِينِ الْمَلَاخَةِ. وَعَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ، فَإِنَّ اتِّفَاقِيَّاتِ عَدَمِ الْعَدَاءِ مَعَ بَعْضِ دَوْلِ مَجْلِسِ التَّعَاوُنِ يَقْصِدُ بِهَا تَفْرِيقَهَا وَمَحَاوِلَةَ مَنَعِهَا مِنَ الْإِنْتِظَامِ لِذَلِكَ التَّحَالْفِ. كَمَا أَنَّ إِيرَانُ تَعْلَمُ أَنَّ دَوْلَ الْمَجْلِسِ أَعْضَاءَ فِي «اتِّفَاقِيَّةِ الدِّفَاعِ الْمَشْتَرِكِ»، الَّتِي تَنْصُ عَلَى الْإِلْتِمَازِ بِمَبْدَأِ «الْأَمْنِ الْجَمَاعِيِّ الْمَتَكَامِلِ وَالْمَتَكَافِلِ» وَأَنَّ الدُّوَلِ الْأَعْضَاءَ تَعْتَبَرُ «أَنَّ أَيَّ عَدَاءٍ عَلَى أَيَّ مِنْهَا هُوَ عَدَاءٌ عَلَيْهَا كَلِّهَا، وَأَيَّ خَطَرٍ يَتَهَدَّدُ إِحْدَاهَا إِنَّمَا يَتَهَدَّدُهَا جَمِيعًا». وَرَغْمَ الْأُزْمَةِ الْخَلِيجِيَّةِ فَإِنَّ الْإِتِّفَاقِيَّةَ قَائِمَةٌ وَمَلْزَمَةٌ. وَلِذَلِكَ فَإِنَّ اتِّفَاقِيَّاتِ الَّتِي تَقْتَرِحُهَا إِيرَانُ تَتَنَاقُضُ مَعَ هَذِهِ الْإِتِّفَاقِيَّةِ. مِنَ الْمَوْسُفِ أَنَّ أَفْضَلَ مَا جَادَتْ بِهِ قَرِيحَةُ ظَرِيفِ هِيَ اتِّفَاقِيَّاتِ تَعُودُ إِلَى حَقْبَةِ سُوْدَاءَ مِنَ التَّارِيخِ الْحَدِيثِ، حِينَمَا تَسَبَّبَتْ الطُّمُوحَاتِ النَّازِيَّةِ فِي نَشُوبِ أَكْثَرِ الْحُرُوبِ تَدْمِيرًا، إِذْ اسْتُخْدِمَتْ أَلْمَانِيَا هَذِهِ الْإِتِّفَاقِيَّاتِ وَسَيْلَةً لِتَحْيِيدِ جِيرَانِهَا مِثْلَ الدَّنِمَارِكِ، وَإِسْتُونِيَا، وَلَاتْفِيَا، فَوْقَعَتْ مَعَهَا اتِّفَاقِيَّاتِ عَدَمِ اعْتِدَاءٍ فِي عَامِ 1939، خِلَالَ الْأَشْهُرِ السَّابِقَةِ لِعَزْوِ بُولْنَدَا. أَمَا رُوسِيَا فَقَدْ وَقَعَتْ مَعَهَا الْإِتِّفَاقِيَّةِ، الْمَعْرُوفَةَ بِاتِّفَاقِ «مُولُوتُوف-رَيْبِنْتْرُوب»، قَبْلَ أَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْعَزْوِ الَّذِي أَشْعَلَ الْحَرْبَ الْعَالَمِيَّةَ الثَّانِيَّةَ. وَبِهَذِهِ الْإِتِّفَاقِيَّاتِ اسْتَطَاعَتْ أَلْمَانِيَا أَنْ تَحِيدَ تِلْكَ الدُّوَلِ وَتُوجِّهَ إِمْكَانَاتِهَا الْعَسْكَرِيَّةَ إِلَى الْجِبْهَاتِ الْآخَرَى. فَاسْتَمَرَ الْإِتِّفَاقُ مَعَ رُوسِيَا نَافِذًا إِلَى عَامِ 1941، حِينَ تَفَرَّغَتْ أَلْمَانِيَا لِعَزْوِهَا فِي الْآخَرَى. وَفِي مَنطَقَةِ الْخَلِيجِ، طَرَحَ صَدَامُ حَسِينِ، وَهُوَ يَخْطِطُ لِعَزْوِ الْكُوَيْتِ قَبْلَ ثَلَاثِينَ عَامًا، تَوْقِيعَ اتِّفَاقِيَّاتِ عَدَمِ اعْتِدَاءٍ مَعَ جِيرَانِهِ، لِلْغُرُوضِ نَفْسِهِ، أَيَّ تَحْيِيدِهِمُ وَالتَّفَرُّغِ لِعَزْوِ الْكُوَيْتِ. وَمِنْ الْمَفَارِقَاتِ أَنَّ ظَرِيفَ اخْتَارَ الْكُوَيْتَ لِيَعْلَنَ مِنْهَا مَقْتَرِحَهُ. مِنْذُ قِيَامِ الْأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ وَاعْتِمَادِ مِيثَاقِهَا فِي عَامِ 1945، تَخَلَّى الْعَالَمُ عَنِ مِثْلِ هَذِهِ الْحِيلِ الْقَانُونِيَّةِ، لِأَنَّ تَنْفِيذَهَا وَالإِلْتِمَازَ بِهَا يَعْتَمِدَانِ عَلَى حَسَنِ النِّيَّةِ وَالثَّقَةِ بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ. وَبَدَلًا مِنْ ذَلِكَ، وَضَعِ الْمِيثَاقُ قَوَاعِدَ مَلْزَمَةٍ لِتَنْظِيمِ الْعِلَاقَاتِ بَيْنَ الدُّوَلِ وَمَنْعِ الْعَدَاءِ بَيْنَهَا، دُونَ الْحَاجَةِ إِلَى تَوْقِيعِ اتِّفَاقِيَّاتٍ لِذَلِكَ. فِي الْإِتِّصَالَاتِ مَعَ إِيرَانِ وَفِي بَيَانَاتِهِ الرَّسْمِيَّةِ، طَرَحَ مَجْلِسُ التَّعَاوُنِ أَنَّ مِيثَاقَ الْأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ وَقَوَاعِدَ الْقَانُونِ الدَّوَلِيِّ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْأَسَاسَ الَّذِي يَنْظِمُ الْعِلَاقَاتِ بَيْنَ الدُّوَلِ، إِذْ تَقْضِي تِلْكَ الْقَوَاعِدُ بِوُجُوبِ احْتِرَامِ الْحُدُودِ وَالِاسْتِقْلَالَ السِّيَاسِيِّ وَسَلَامَةِ الْأَرْضِ الْوَطْنِيَّةِ لِلْجِيرَانِ. وَتَمْنَعُ اسْتِخْدَامَ الْقُوَّةِ أَوْ التَّهْدِيدِ بِهَا. وَلَكِنْ إِيرَانُ بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ تَطْرَحُ مَقْتَرِحًا يَعُودُ لِفَتْرَةٍ مَا قَبْلَ تَأْسِيسِ الْأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ، مَا يَعْنِي أَنَّهَا لَا تَرْغِبُ فِي الْإِحْتِكَامِ إِلَى مِيثَاقِ الْأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ أَوْ مِبَادِي الْقَانُونِ الدَّوَلِيِّ، وَهَذَا هُوَ صَلْبُ الْمَشْكِلَةِ بَيْنَ طَهْرَانَ وَمَجْلِسِ التَّعَاوُنِ

نقلا عن الشرق الأوسط\*